أبو سفيان ومعه معاوية في القرآن الكريم

في القرآن الكريم آيات كثيرة تخبرنا أن الكفار المعاندين لن يؤمنوا (نعم قد يتظاهرون بالإسلام ويتم قبول ذك منهم، لكنهم لن يؤمنوا من قلوبهم) ولكن العقل الأثري الحديثي المذهبي) منفصل عن القرآن الكريم، فقد ملأه التاريخ وحشاه، ذلك التاريخ الذي كتب معظمه أتباع هؤلاء، فهذا العقل الأثري مشغول بالأثر، ولا يتدبر القرآن، وإن تدبر قد يشك! لأن ما يصححونه من حديث قد يخالف القرآن الكريم، فيقدمون حديث حسن الإسناد على خمسين آية أو أكثر صريحة الدلالة أو راجحة الدلالة على الأقل..

تلك الآيات سنستعرض بعضها، ونترك بقية ذلك في كتب قادمة، في أبي سفيان ومعاوية وأمثالهم ممن خلطوا علينا ديننا، وكانوا أدهى منا فخلطوا عقولنا مع ذلك الخلط الديني، وفي القرآن شفاء لمن أحسن السمع والتدبر، ومن تلك الآيات مع تفسيرها عند أهل الحديث والرواية حتى تعرف السلفية المحدثة أن السلفية القديمة تخالفها في أبي سفيان ومعاوية وأمثالهم:

- الآية الأولى:

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) [الأنفال/٣٦]﴾، وهذه روايات أهل الحديث المتقدمين في تفسير الآية، والتي تجاهلها المتأخرون، وأصبح التفسير بالأثر يقلقهم مع أنهم (أهل الأثر)! ويمدحون التفسير بالمأثور ويقدمونه على التفسير بالرأي، ونحن معهم إذا سار الأثر في ظل الآية واهتدى بهداها، فعجبي كيف ينزعجون من الأثر إذا كان ضد المنافقين من قريش الذين حاربوا رسول الله حتى ملوا وانهزموا، مع أن هذه السلفية المحدثة يختارون تفسيرات في ذم للجهمية والرافضة والقدرية مع أن هؤلاء لم يحاربوا الرسول (ص) ولا يشهدوا مع ألأحزاب حتى تنزل فيهم آيات..

وهذه الآثار في تفسير الآية السابقة:

سعيد بن جبير (نزلت في أبي سفيان): تفسير الطبري – (ج ١٣ / ص ٥٣٠) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" الآية،

"والذين كفروا إلى جهنم يحشرون"، قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب. استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة، فقاتل بهم النبيَّ صلى الله عليه وسلم ..الخ، قلت: إن كانت نزلت في ابي سفيان فعودوا واقرءوا الآية كاملة وانظروا هل لأبي سفيان وأصحابه من مخرج؟؟ ألم يخبر الله بأنهم سيحشرون إلى جهنم؟ هل كان الله يتوقع أم ينقل خبراً يعلم حقيقته؟؟ فقط نريد جواباً..
قد يقولون : هذا خبر فرد مرسل؟... نقول : لا تستعجلوا ... سترون بقية الآثار والشواهد والقرائن والواقع التاريخي يدل على أنهم أبو سفيان وأصحابه حتى لو لم نجد أثراً واحداً، فسورة الأنفال وردت فيهم يوم بدر، وما بعدها، ولم يكن للنبي أيام نزول سورة الأنفال أعدى من قريش وأشد كفراً ومحاربة، فليس من المعقول أن نقول أن المراد بالذين كفروا في هذه الآيات بني تميم أو بكر وائل أو الأزد أو حمير... هذا هروب من الآية وشك في صدقها، والمؤمن يختبره الله بمثل هذه الأمور، فقد أبقى لنا الله بني أمية فتنة ليعلم من يصدقه ومن يصدق التاريخ، من يعبده ومن يعبد التاريخ..الخ، فالأمر خطير، والإيمان صعب وليس بالسهولة التي يتوقعها البعض، الإيمان عند الله ليس التقليد والسير مع الجماهير، فالله يريد أن تؤمن بآياته وسط تكذيب الناس لك، أما أن تختار تكذيبك للقرآن على تكذيب الناس لك فلست مؤمناً، ولست في مقام أن تعرض على الله ما يجب أن تؤمن به وما لا يجب، فالله هو الذي يخبرك، وعليك أن تؤمن، ونقطة على آخر السطر! أما إذا أردت أن تفاوض الله على ما تؤمن به من كتابه وما لا تؤمن به فهذا نفاق، وكبر مذهبي، والإيمان عندما تتجرعه أفضل من الإيمان النفاقي الذي تسير به مع الناس (سمعت الناس يقولون فقلت)! فهذا إيمان نفاقي، وهو إيمان بالجماعة والمذهب والعادة والسائد وليس إيماناً بالله وآياته فتنبه.

نواصل سرد الآثار في تفسير الآية السابقة – لتكون حجة على أهل الآثار-:
عبد الرحمن بن أبزى (نزلت في أبي سفيان): تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٠) : حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن ابن أبزى: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، قال: نزلت في أبي سفيان، استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، سوى من استجاش من العرب اهـ أيضاً ارجع للآية واقرأها كاملة وانظر هل ستجد لأبي سفيان ومعاوية وأمثالهم مخرجاً؟ ... جرب... اقرأ الآية كاملة .. هي آية واحدة، لا يصدك الشيطان في العناد فترفض قراءتها خشية أن تشوش على عقيدتك!
الحكم بن عتيبة (نزلت في أبي سفيان): تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣١) ...قال، أخبرنا أبي عن خطاب بن عثمان العصفري، عن الحكم بن عتيبة: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل

الله"، قال: نزلت في أبي سفيان. أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب، وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالاً اهـ.

قتادة (نزلت في أبي سفيان): تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣١) : حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، الآية ، قال: لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة أشَّبَ الناس ودعاهم إلى القتال، حتى غزا نبيَّ الله من العام المقبل. وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان. وكانت أحد في شوال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه في العام الرابع.

السدي (في جماعة منهم أبو سفيان): تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣١) : حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: قال الله فيما كان المشركون، ومنهم أبو سفيان، يستأجرون الرجال يقاتلون محمدًا بهم: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، وهو محمد صلى الله عليه وسلم= "فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة" ، يقول: ندامة يوم القيامة وويلٌ = "ثم يغلبون"

مجاهد (نزلت في أبي سفيان): تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣١) : حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: "ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله" ، الآية حتى قوله: "أولئك هم الخاسرون" ، قال: في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد.

مجاهد (نزلت في أبي سفيان): تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٢) : حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

ابن عباس ومجموعة من التابعين منهم، الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ (أبو سفيان منهم): تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٢) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، [وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد. وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من الحديث عن يوم أحد، قالوا: أو من قاله منهم: لما أصيب] يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ، (٢) ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعِيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم وقتل خيارَكم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا!

ففعلوا. قال: ففيهم، كما ذكر عن ابن عباس، أنزل الله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" إلى قوله: "والذين كفروا إلى جهنم يحشرون" اهـ وهذه الآثار الكثيرة والمتضافرة والتي يشهد بعضها لبعض يدل عليها السورة نفسها سورة الأنفال فهي في كفار قريش يومئذ، وخاصة كبارهم ، وقد ينجوا مواليهم ومن ليس رأساً من أهل الظواهر الرعاة (ظواهر مكة) مما لم يجلبوا بخيل ولا ركاب وتأخر إسلامهم إلى يوم الفتح، أما المحاربون المصرون الحريصون على قتل النبي وقتاله وجمع الأموال لذلك فإذا لم تتناولهم الآيات فمن تتناول؟

ابن إسحاق مرسلاً (منهم أبو سفيان): تفسير الطبري – (ج ١٣ / ص ٥٣٣) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، إلى قوله: "يحشرون" ، يعني النفرَ الذين مشوا إلى أبي سفيان، وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة، فسألوهم أن يُقَوُّوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعلوا اهـ (قلت: كان أبو سفيان من كبار من طالب أصحاب الأموال، وقد سبق رواية ابن إسحاق الإجماع عن علمائه أنه رأسهم، فلا يغتر قاريء هنا باللفظ المذكور، فما هؤلاء الجماعة إلا جنوداً لأبي سفيان).

عطاء بن دينار (نزلت في أبي سفيان): تفسير الطبري – (ج ١٣ / ص ٥٣٣) : حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن عطاء بن دينار في قول الله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم"، الآية، نزلت في أبي سفيان بن حرب [1]اهـ

.. التعليق الأخير على هذه الآية والآثار في تفسيرها:

[1] وقد سرد الشوكاني الأقوال في فتح القدير – (ج ٣ / ص ١٨١) فقال : وأخرج ابن مردويه ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب . وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، عن مجاهد نحوه . وأخرج هؤلاء وغيرهم عن سعيد بن جبير نحوه . وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، عن الحكم بن عتيبة ، في الآية قال : نزلت في أبي سفيان أنفق على مشركي قريش يوم أحد أربعين أوقية من ذهب ، وكانت الوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالاً من ذهب . اهـ وهناك قول ضعيف عن الكلبي أنها نزلت في المطعمين يوم بدر – وسرد اسماءهم وهم اثنا عشر- وليس منهم أبو سفيان (في زاد المسير لابن الجوزي) ومنهم من جعلها في بني قريظة والنضير، وآخرون جعلوها في أبي جهل.. والأقوى أسانيد وواقعاً ما تقدم من أنها في أبي سفيان وحزبه...

الأسانيد كثيرة وفي معظمها قوية، هذا من حيث الإجمال، والتفصيل في كتابي عن أبي سفيان (لم يطبع ولم يكتمل وقد قارب)، وبهذه الأسانيد معظم الرواية القديمة إنما وصلوا ما شاءوا منها أيام محمد بن عبد الله المسند شيخ البخاري وطبقته (وهنا تفصيل حديثي طويل)، ومعظم السير والمغازي والتواريخ والتراجم إنما هي بمثل هذه الأسانيد، ومجموعها يشهد بعضها لبعض ولو كان معظمها مرسلاً، ثم هي ليست وحدها بل الأسانيد الصحيحة الموصلة في ذم أبي سفيان ومعاوية كثيرة جداً، إلا أن السلفية المحدثة تخلت على السلفية القديمة عندما تقترب من ذم آل أبي سفيان، لكنها تقبل عليهم بقوة إن وجد في بعض مراسيلهم ما يقترب من ذم آل محمد (والشواهد في كتاب النصب والنواصب عبر التاريخ– وقد أخرج منه نواصب القرن الأول قريباً).

نعود هنا فنقول : ألا ترون الحشد السلفي القديم وعقيدته في أبي سفيان؟! وحكم معاوية هو حكم أبيه في كل شيء، فلم يكن معاوية يخرج عن أبيه في رأي ولا مسير، فهو ابن هند وابن أبيه، إذن فهذه عقيدة السلف القديم (السلفية الأولى) الذي لم يعد أحد يرى رأيها من أتباع السلفية المحدثة! تلك السلفية التي بدأت مع أحمد بن حنبل واستحكمت مع ابن تيمية وانتشرت مع محمد بن عبد الوهاب،، فالحشد السلفي القديم في تفسير هذه الآية فقط نجد فيها علماء كبار من أهل السنة والحديث ومحل إجلال (نظري) عند السلفية المحدثة، وهؤلاء لا يوازيهم أحمد بن حنبل ولا ابن تيمية ولا محمد بن عبد الوهاب، ففيهم السلفية الأولى سعيد بن جبير التابعي المشهور (٩٥هـ) وعبد الرحمن بن أبزى الخزاعي (والي عمر على مكة) وقتادة (من رجال الجماعة وفيه أموية) ومجاهد المفسر المشهور، والسدي الكبير، والحكم بن عتيبة شيخ شعبة الأول، والزهري (عالم أهل الشام والحجاز) ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري (شيخ ابن إسحاق) والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ الأنصاري وابن إسحاق وعطاء بن دينار وقبلهم كلهم ابن عباس حبر هذه الأمة، فهؤلاء أربعة عشر من السلف الصالح باعترافهم كانوا يرون أن هذه الآيات نزلت في أبي سفيان (ومعاوية معه لم يفارقه حتى في اعتزاله يوم حنين وتمنيه مع أبيه هزيمة النبي (ص)) ، على أن بعض هؤلاء السلف فيه نصب وأموية، ولكن أموية ابن تيمية ومدرسته لا توازيها أموية رواة أهل الشام، فما بال السلفية المحدثة تهتم بالتفسير بالرأي إذا ذكر الجهم والجعد أو القدرية والجهمية ولا يلتفتون أبداً لمن تكون الآيات تنزل في ذمه وهو يحارب النبي (ص) إضافة إلى أن الآيات تبشر أبا سفيان ومن معه بالنار فتدبروها جيداً، فهي لا تتحدث عن أبي سفيان أيام شركه فقط .. كلا، بل تبشره بالنار، والله عز وجل لا يتوقع وإنما يخبر بصدق، ومن أصدق من الله قيلاً؟ هل هو ابن تيمية أو ابن بطة أو الربيع بن نافع أو من؟..

نعم لو كانت السلفية المحدثة وسائر النواصب على منهج مطرد بحيث لا يقبلون الرواية إلا بشروط معتزلية لقلنا لهم عذرهم، بل قد ندعمهم في هذا التشدد في قبول الروايات والأحاديث، وألا يصدقوا أسباب النزول هذه، ونحن من حيث الجملة مع التشدد في قبول الروايات إلا ما كان له أصل كهذه الروايات، فالروايات أخف من الآيات أصلاً، بمعنى أن الإجماع منعقد على أن هذه الآيات في حق الذين كفروا الذين نزلت وهم كفار وخاصة الزعماء الذين حددت الآيات صفاتهم كإنفاق الأموال وبذلها لتجهيز الجيوش.. فمن هؤلاء غير كبار قريش، فالآيات من سورة البقرة والأحزاب وغيرها كانت تشمل أبا سفيان ومعاوية وأمثالهم قبل أي أطراف أخرى، وكان معاوية يمين أبيه بعد مقتل حنظلة ببدر، وعلى هذا فإذا صحت الآيات فلماذا نتشدد في الآثار؟ بل الآيات تبشرهم بالنار وتخبر أنهم لن يهتدوا، فالسلفية القديمة خففت بهذه الآثار من الآيات أكثر مما أكدتها، لأنها لم تشهد عليهم بالنار كما شهدت الآيات، ومع ذلك فالسلفية القديمة أنصف وأجرأ رغم الظروف السياسية الصعبة، إلا أن السلفية المحدثة التي بدأت بأحمد بن حنبل سامحه الله ورحمه[2] – فقد كان عابداً متوقياً في الصغائر؛ جريئاً على بعض الكبائر كالظلم وحب الظالمين والتكفير– هذه السلفية المحدثة هي المسيطرة اليوم.

وهذه السلفية المحدثة إنما تتشدد إذا تعلق الأمر بذم هؤلاء، أما أن يستدلوا بالآيات على فضل معاوية وأبيه فحدث ولا حرج، بل قد تستدل بآيات في فضلهما قبل أن يسلما! بينما يتركون الآيات التي كانت تنزل فيهم وفي غيرهم قطعاً (لأنها نزلت قبل إسلامهم فتشملهم بالضرورة) فهذه عصبية شديدة كالحة، وهي من آثار السلطة الأموية بلا شك.

- الآية الثانية:

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) [البقرة/٦، ٧]﴾

هذه تناول أبا سفيان بالأولوية، وإذا استثنى الله أحداً فقد يستثني رعاة الظواهر وصبيان البطاح والمستضعفين .. أما الزعماء المحاربون فإن لم يتناولهم الخطاب فمن يتناول؟ وكيف نستطيع رد الخبر القرآني إلا أن نكفر؟ ومن لم يتأمل الآيتين أو لم يقتنع بهما فلا يستعجل في رد الآيات وتكذيبها، لأننا سنأتي له بأسانيد صحيحة تدل على صدق القرآن الكريم ﴿! للأسف أننا وصلنا معهم إلى هذه المرحلة، أن نستدل على صدق القرآن بروايات قوية الأسانيد عندهم﴾!

[2] وله سلف كسفيان بن عيينة وابن مهدي وقبلهم أيوب السختياني وقبله أبو قلابة وابن سيرين .. الخ، هم مجموعة أفرد شذوا عن السلف لكنهم أصبحوا سلف السلفية المحدثة، ثم انصبغت السلفية كلها بعقائدهم.

إذن فلا يستعجل السلفي المغالي في رد الآيات السابقة وليبق مع إسلامه لأنه قد جاء في الآثار ما يدل على هذا بأسانيد صحيحة على جرحهم وتعديلهم،، وهم رغم محاولتهم إخراج أبي سفيان من هذه الآيات بلا سبب موجب، فقد روى سلفهم ما يدل على صدق هذه الآيات!

ففي تفسير الطبري مثلاً: - (ج ١ / ص ٢٥٢) حُدِّثت به عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: آيتان في قادةِ الأحزاب :(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، قال: وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) [سورة إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، قال: فهم الذين قُتلوا يوم بدر اهـ

قلت: السياسة هي من حصر هؤلاء بالمقتولين! مع أن أكثر المقتولين يوم بدر ليسوا في عداوة أبي سفيان للنبي (ص)، ولا في بلوغه بالحجة ولا في فهمه لها وعناده وكبره وصده عن سبيل الله ..الخ، والآية إن لم تكن في الزعماء المتبوعين فلن تكون في الرعاء التابعين، عدل الله يأبى هذا، ومنهج القرآن يأباه، فالقرآن يتناول الزعماء بالدرجة الأولى لأن لهم تأثيرهم على الأتباع، وكان أبو سفيان من هؤلاء الزعماء بلا شك، بل هو زعيم الحروب ضد النبي (ص) وهو الوحيد الذي حزب الأحزاب، فلم يكن يوم بدر أحزاب، وإنما كانت قريش فقط، ومن هنا يتبين لنا المسلك السياسي (الأموي خاصة) في تخصيص القرآن بما يميت آياته ويحصرها في ما لا فائدة فيه على المستوى الفكري عند المسلمين، إذ لو كانت ثقافة القرآن مستقرة في عقول المسلمين بأن أبا سفيان منهم، فلابد أن يثير هذا الاعتقاد بعض التساؤلات عن أثر أبي سفيان على السياسة العامة للمسلمين، وأثر ابنه معاوية في صرف دلالات القرآن إلى عدو ميت! ليطمئنوا بأن العدو مات! وأن كلام الله ليس على إطلاقه! أو أنه غير صحيح! فالله لم يختم على قلوب رؤوس الكفر من قريش، وأن التاريخ أثبت أن ما يخبر به الله ليس بالضرورة أن يكون صحيحاً ولا مطابقاً، وعلى هذا فالقرآن توقعات محمد فقط! (هذا ما يريد معاوية وأمثاله أن يثبتوه، والسلفية (حليفة معاوية) تتدين برأي معاوية، وتستبعد صحة مثل هذه الآيات ولو احتمالاً.. تصوروا ! حتى مجرد الاحتمال أن أبا سفيان من هؤلاء مستبعد في الفكر السلفي، ليس لأن الله لم يقل ويكرر، ولكن لأن معاوية لم يرد ذلك، وخفاء الدور السياسي على الحمقى، فلا مكر كمكر السلطان، ولا جند كجند الحمقى، فإذا اجتمعا لم يردهما شيء،)!.

وفي تفسير الطبري - (ج ١ / ص ٢٦٧) حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: هاتان الآيتان إلى(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هم(الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) [سورة إبراهيم: ٢٨]، وهمُ الذين قُتلوا

يوم بدر، فلم يدخل من القادة أحدٌ في الإسلام إلا رجلان: أبو سفيان بن حَرْب، والحَكَم بن أبي العاص اهـ

وفي الدر المنثور – (ج ١ / ص ٢٩) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية .. فذكره اهـ

وفي تفسير الطبري – (ج ١ / ص ٢٦٧) وحدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن الحسن، قال: أما القادةُ فليس فيهم مُجيبٌ ولا ناجٍ ولا مُهْتَدٍ اهـ /

قلت: إذا كان أبو سفيان من القادة ومن المعنيين بالآية الكريمة، فأعيدوا قراءة الآيتين وانظروا هل من سبيل إلى أن يهتدي؟ أم أن إسلامه سيكون في الظاهر فقط؟

وعلى كل حال: فهذه الآيات صريحة جداً في الكافرين أيام نزولها، وأنهم لن يهتدوا، لأن مهلة الهداية انتهت في حقهم، وخاصة الزعماء المجادلون والمتآمرون، فهؤلاء قامت عليهم الحجة أكثر من الرعاع والعامة والبله، وهي تتفق مع سورة الكافرون (فتذكروها) وسورة يس (فاقرؤا أول عشر آيات منها) وغيرها من الآيات والسور التي تتحدث عن قريش، وعن زعمائها على وجه الخصوص، والله لا يخشى من الزعماء فيكون خطاب الوعيد يتناولهم بالأولوية، وإنما السلفية فيما بعد حيدت الزعماء من الوعيد لأنها تخشى منهم وظنت أن الله يخشى منهم، وجعلته – أي الوعيد– مبهماً في الهواء لا حقيقة له، وإلا أين حقيقة هاتين الآيتين؟ قد يوردونها في الميتين كأبي جهل ؟ نقول: فمن أستثنى أباسفيان ساعة نزول الآيات؟ أأنتم؟ (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟) أم على الله وكتابه ودينه تفترون ؟

- الآية الثالثة: أمهالهم شر لهم وليس كما يظن السلفيون:

ثم يظن السلفيون (الواقعون في المكر الأموي) أن تأخر موت أبي سفيان كان خيراً له، وأن تقدم موت أبي طالب كان شراً له! – لأنهم يروون أنه مات كافراً– بينما الله عز وجل لا يقول هذا وخاصة في مثل أبي سفيان انظروا إلى قوله تعالى : (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨) [آل عمران/١٧٦–١٧٨])

فهذه الآيات تقول بخلاف ظن السلفية تماماً.. فهم يحسبون أن إملاء الله لهؤلاء خير لهم!

- الآية الرابعة: :

وكذلك قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) [آل عمران/١٢]) هنا وعيدان من الله تحقق أحدهما في الدنيا، والسلفية لا يرون الثاني إلا توقعاً خاطئاً! فمن

المخاطبون ساعة نزول الآية؟ أليس قريشاً؟ أليس هذا يتناول زعماء الحرب على الأقل ممن أعرقوا في المحاربة والتحزيب والتصدر والمبالغة في معاداة النبي (ص)؟ هذه الآية وأمثالها عند السلفية راحت هباء منثوراً بإظهار أبي سفيان الإسلام خوفاً من السيف! مع ثبوت بقائه على الكفر في أكثر من مناسبة، كان آخرها في أول خلافة عثمان سنة ٢٥هـ ولم يلبث بعدها إلا سبع سنوات شيخاً عاجزاً ليس له ذكر، لو شرب الماء لا يجد برده!

- الآية الخامسة:

وانظر قوله تعالى: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) [آل عمران/١٩٦، ١٩٧]) فهذه من آيات آل عمران وسيوف قريش طرية من دماء حمزة ومصعب وأمثالهما، والله أصدق القائلين لا يكذب أبداً، وإذا قال شيئاً لا يخلفه، والسلفية يرون أن الله لا يخلف وعيده إذا كان في حق أبي لهب عم النبي (ص) لكنهم يرونه مخلفاً وعيده في من هو شر من أبي لهب وأكثر عداوة وأطول محاربة، بل أبو لهب لم يقتل مسلماً قط، ولم يحزب أحزاباً ولم يحاصر المسلمين في الخندق ولا في الشعب، وإنما كان ذم الله له لإطاعته أبي سفيان وأخته أم جميل، فكيف يصدق وعيد الله في الفرع ولا يصدق في الأصل؟!

- الآية السادسة:

وانظر إلى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) [النساء]) وهذا صريح أن زعماء الكفر – على الأقل– لن يهديهم الله إلا طريق جهنم، وهي إما الكفر أو النفاق (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) [النساء])

- الآية السابعة:

وانظر إلى قوله : (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) [الأنفال/٣٤-٣٧])

فهذه الآيات صريحة، بل بعضهم صرح بأنها في أبي سفيان..

وكان الله قد أتاح لهم فرصة أخيرة بعد بدر بقوله تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ [الأنفال/٣٨]) ولا بد أن يكون النبي (ص) قد أبلغ هذه الرسالة لهم ما بين بدر وأحد، ولذلك لما لم يستجيبوا أعاد الله لهم الجملة يوم أحد ولكن بلا فتح باب التوبة فقال: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) [آل عمران/١٢، ١٣]) فقد انتهت مهلة الوعد بالتوبة، ولم يرد في القرآن الكريم (قل للذين كفروا..) إلا في هذين الموضعين أولاهما في الأنفال (بعد بدر) والثانية في آل عمران (بعد أحد).. وكان الكفار المعادين للنبي (ص) في تلك المدة هم كفار قريش فقطن وهذه ظاهرة لمن تدبر القرآن، ولكنها خافية على الهالكين في المكر الأموي.

وانظر إلى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) [العنكبوت/٢٣])

ومن سنة الله أن طول التكذيب تكون عقوبته الصرف عن الهداية (تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) [الأعراف/١٠١]) أي ما كذبوا به من قبل رغم تيقنهم صدقه كيف يؤمنون به فيما بعد؟.

ولا ننسى الحكم التأبيدي : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦))

ولا ننسى الخاتمة – في آخر الآيات نزولاً– (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) [المائدة/٦٧، ٦٨] فكان الكفر موجود إلى آخر النبوة في أناس يدعون الإسلام داخل الجزيرة، وإن لم يكن منهم أبوسفيان وحزبه فمن؟..

وفي قوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) [النحل/١٠٦-١٠٩])

وقوله عنهم في سورة الأحزاب عن قريش وحلفائهم وأشياعهم: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) [الأحزاب/٦٤-٦٨])

ومعظم سورة التوبة في أبي سفيان وحزبه من كفار العرب واليهود والمنافقين الجدد..

وأخيراً:

فعدل الله يقضي بأن من ناصر النبي (ص) عشر سنوات كأبي طالب، لن يكون كمن حارب النبي عشرين سنة! وكل خطاب القرآن في الوعيد منصب في أبي سفيان وأمثاله، لكن السلفية جعلوا هذا الوعيد منصب في تهديد الهواء وما لا وجود له!

أما ابنه معاوية – المفتخر بالصحبة وليس صحابياً– فالأقرب إليه قوله تعالى : (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) [آل عمران/١٨٨]) ومعاوية أول من بالغ في الصحبة اليسيرة التي ليست محلاً للتأسي ولا الاقتداء، بينما قتل ولعن أصحاب الصحبة الكبيرة ذات التأسي والاقتداء! ثم أصبح الغبار في أنف معاوية – وهو يشمت ويسخر من النبي والمسلمين يوم حنين– أفضل عند السلفية من عمر بن عبد العزيز ومنا ومن كل التابعين! عجبي؟!

إبليس لم يستطع أن يعمل هذا كله!

فالناس يلعنونه وإن كانوا يطيعونه لشهواتهم الدنيوية، أما معاوية فيطيعونه في شقائهم دنيا وآخرة.

وسأترك بقية الآيات والأحاديث في ذم أبي سفيان ومعاوية في سلسلة طويلة لعل الله يهدي بهذه الأبحاث الشباب السلفي الطيب الفطن، أما الشيوخ فمعظمهم كشيوخ قريش (ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) وعلى هذا فلن يتهدوا إذن أبداً.. وإذا خرج استثناء من هذا التعميم فهو كخروج المستثنين من التعميم في كفار قريش، أعني لن يكونوا إلا أفراداً، لأن الله يطبع على القلوب إذا استكبرت، والسلفيون المُحْدَثون أملأ القلوب كبراً، فلذلك لا يقبلون أن يجلسوا مع أحد من المسلمين! ولا أن يتدبروا حججهم، ويحشرونهم كلهم في النار، ولا يدخلون الجنة إلا شرذمتهم وحتى يتصور قاريء عقائدهم أن الجنة لا يدخلها إلا بضعة آلاف، نصفهم من الظالمين!.

ثانياً: أئمة الكفر في سورة التوبة :

مجاهد (أبو سفيان منهم): تفسير الطبري – (ج ١٤ / ص ١٥٥) حدثنا ابن وكيع وابن بشار حدثنا محمد بن جعفر (غندر) عن شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد:(فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم)، قال: أبو سفيان منهم.

السدي (قريش): فسير الطبري – (ج ١٤ / ص ١٥٥) حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، حدثنا أسباط، عن السدي:(وإن نكثوا أيمانهم)، إلى:(ينتهون)، هؤلاء قريش. يقول: إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام، وطعنوا فيه، فقاتلهم اهـ

الضحاك (رؤوس المشركين أهل مكة): حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول في قوله:(فقاتلوا أئمة الكفر)، يعني رؤوسَ المشركين، أهلَ مكة.

قتادة (أبو سفيان منهم): حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله:(فقاتلوا أئمة الكفر)، أبو سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله، وهمُّوا بإخراج الرسول، وليس والله كما تأوَّله أهل الشبهات والبدع والفِرَى على الله وعلى كتابه اهـ (قلت: في تصريح قتادة باسم أبي سفيان وأصحابه هنا سر عظيم، لا يحسن هنا الكلام عليه).

وفي الدر المنثور للسيوطي – (ج ٥ / ص ٢٠) عن مجاهد (عهدهم): أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله { وإن نكثوا أيمانهم } قال : عهدهم،

وفيه عن ابن عباس (أئمة الكفر): وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله { وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم } يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : وإن نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتلوهم انهم أئمة الكفر .

وفيه عن قتادة (فيهم أبو سفيان): وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله { أئمة الكفر } قال : أبو سفيان بن حرب ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله تعالى وهمّوا باخراج الرسول من مكة.

وفيه عن أنس (فيهم أبو سفيان) ومجاهد (أبو سفيان فقط) : وأخرج ابن عساكر عن مالك بن أنس رضي الله عنه مثله، وأخرج ابن عساكر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : أبو سفيان.

وفيه عن ابن عباس (رؤوس قريش): وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : رؤوس قريش.

وفيه عن ابن عمر (أبو سفيان منهم): وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : أبو سفيان بن حرب منهم[3].

---

[3] وفي تفسير ابن أبي حاتم – (ج ٧ / ص ١٩٣) حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، ثنا أَبُو دَاوُدَ، ثنا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، سَمِعَ مُجَاهِدًا، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، فِي قَوْلِ الله: " فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ " قَالَ:" أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ مِنْهُمْ"

وفيه عن الحسن البصري (الديلم)!!!: وأخرج أبو الشيخ عن الحسن البصري { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : الديلم! اهـ (قلت: ينظر الراوي عن الحسن، فهو إما أموي الهوى، أو أنه أحمق، فما دخل الديلم في الآيات هنا؟؟ لقد أبعد النجعة)..

وفيه عن حذيفة (ما قوتلوا بعد)!: وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه أنهم ذكروا عنده هذه الآية فقال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

وفيه عن حذيفة (ما بقي منهم إلا ثلاثة، والتلميح لأبي سفيان): وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري وابن مردويه عن زيد بن وهب رضي الله عنه في قوله { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال : ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي : إنكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تخبروننا بأمور لا ندري ما هي ، فما بال هؤلاء الذين يقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟! قال : أولئك الفساق ، أجل لم يبق منهم إلا أربعة ، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده.

وفيه عن أبي بكر (وتحريفها للخوارج)!: وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن جبير رضي الله عنه، أنه كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه في الناس حين وجههم إلى الشام ، فقال : إنكم ستجدون قوماً محلوقة رؤوسهم فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف ، فوالله لئن أقتل رجلاً منهم أحب إلي من أن أقتل سبعين من غيرهم ، وذلك بأن الله تعالى يقول { قاتلوا أئمة الكفر }.

وفيه عن حذيفة (لا عهود لهم): وأخرج أبو الشيخ عن حذيفة رضي الله عنه { لا أيمان لهم } قال : لا عهود لهم.

وفيه عن عمار (لا عهود لهم): وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عمَّار رضي الله عنه { لا أيمان لهم } لا عهود لهم،

وفيه عن علي (ما قوتلوا بعد): وأخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ أنزلت { وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . . . } الآية،

وفيه عن سعد (خارجي يتهم سعد بأنه منهم): وأخرج ابن مردويه عن مصعب بن سعد قال : مرَّ سعد رضي الله عنه برجل من الخوارج فقال الخارجي لسعد : هذا من أئمة الكفر . فقال سعد رضي الله عنه : كذبت ، أنا قاتلت أئمته ..الخ، ونحوه في فتح القدير للشوكاني – (ج ٣ / ص ٢٢٨) وكأنه نقله من السيوطي.

جمعهم ثلاثة أمور: وفي تفسير الرازي – (ج ٧ / ص ٤٦٩) اعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أسباب كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انفرد ، فكيف بها حال الاجتماع : أحدها : نكثهم العهد ، وكل المفسرين حمله

على نقض العهد/ قال ابن عباس والسدي والكلبي : نزلت في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية ، وأعانوا بني بكر على خزاعة وهذه الآية تدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجراً لغيرهم./ وثانيها : قوله : { وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرسول } فإن هذا من أوكد ما يجب القتال لأجله . واختلفوا فيه فقال بعضهم : المراد إخراجه من مكة حين هاجر، وقال بعضهم : بل المراد من المدينة لما أقدموا عليه من المشورة والاجتماع على قصده بالقتل . وقال آخرون : بل هموا بإخراجه من حيث أقدموا على ما يدعوه إلى الخروج وهو نقض العهد ، وإعانة أعدائه ، فأضيف الإخراج إليهم توسعاً لما وقع منهم من الأمور الداعية إليه . وقوله : { وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرسول } إما بالفعل وإما بالعزم عليه ، وإن لم يوجد ذلك الفعل بتمامه ، وثالثها : قوله : { وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } يعني بالقتال يوم بدر ، لأنهم حين سلم العير قالوا : لا ننصرف حتى نستأصل محمداً ومن معه .والقول الثاني : أراد أنهم قاتلوا حلفاء خزاعة فبدؤا بنقض العهد ، وهذا قول الأكثرين ، وإنما قال : { بدؤكم } تنبيهاً على أن البادىء أظلم ، ..الخ.

وفي تفسير الرازي – (ج ٧ / ص ٤٧٠) نقل عن ابن عباس أنه قال : قوله تعالى : { أَلاَ تقاتلون قَوْماً } ترغيب في فتح مكة وقوله : { قَوْماً نَّكَثُواْ أيمانهم } أي عهدهم ، يعني قريشاً حين أعانوا بني الديل بن بكر على خزاعة خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام..الخ

المراد إخراج النبي من المدينة وليس من مكة: وفي التحرير والتنوير لابن عاشور – (ج ٦ / ص ٢٣٥) (أمّا همّهم بإخراج الرسول فظاهره أنّه همٌّ حصل مع نكث أيمانهم وأن المراد إخراج الرسول من المدينة ، أي نفيه عنها لأن إخراجه من مكّة أمر قد مضى منذ سنين ، ولأنّ إلجاءه إلى القتال لا يعرف إطلاق الإخراج عليه فالظاهر أنّ همّهم هذا أضمروه في أنفسهم وعلمه الله تعالى ونبّه المسلمين إليه، وهو أنّهم لمّا نكثوا العهد طمعوا في إعادة القتال وتوهّموا أنفسهم منصورين وأنّهم إن انتصروا أخرجوا الرسول عليه الصلاة والسلام من المدينة) اهـ وقصة الإخراج من المدينة هي قصة حلف عريض قام بين أبي سفيان وقريش (بعد تظاهرهم بالإسلام) مع اليهود والمنافقين (أصحاب مسجد الضرار) وبني سليم (رهط أبي الأعور السلمي حليف أبي سفيان ومعاوية فيما بعد) وبعض الأعراب والروم، وهذه القصة تناولتها سورة التوبة بالتفصيل لكن الناس طغى التاريخ على عقولهم واستقر فيهم أن هؤلاء أسلموا صادقين وأنتهى الأمر، فردوا مئات الآيات إلى هذا الظن الذي في عقولهم.

ونرى الحيرة والاضطراب: في قوله (ابن عاشور) بعد أن استعرض الأقوال واستشكلها – التحرير والتنوير – (ج ٦ / ص ٢٣٦)– فالوجه عندي : أنّ المعنيَّ بالذين هَمّوا بإخراج الرسول قبائل كانوا معاهدين للمسلمين ، فنكثوا العهد سنة ثمان ، يوم فتح مكة ، وهمّوا بنجدة أهل مكة يوم الفتح ، والغدر

بالنَّبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين ، وأن يأتوهم وهم غارون ، فيكونوا هم وقريش ألباً واحداً على المسلمين ، فيُخرجون الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من مكة ، ولكنّ الله صرفهم عن ذلك بعد أن همّوا ، وفضح دخيلتهم للنبيء صلى الله عليه وسلم وأمره بقتالهم ونبذِ عهدهم في سنة تسع ، ولا ندري أقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية أم كان إعلان الأمر بقتالهم (وهم يعلمون أنهم المراد بهذا الأمر) سبباً في إسلامهم وتوبة الله عليهم ، تحقيقاً للرجاء الذي في قوله : { لعلهم ينتهون } [التوبة : ١٢] ولعل بعض هؤلاء كانوا قد أعلنوا الحرب على المسلمين يوم الفتح ناكثين العهد ، وأمدّوا قريشاً بالعدد ، فلمّا لم تنشب حرب بين المسلمين والمشركين يومئذٍ أيسوا من نصرتهم فرجعوا إلى ديارهم ، وأغضى النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ، فلم يؤاخذهم بغدْرهم ، وبقي على مراعاة ذلك العهد ، فاستمرّ إلى وقت نزول هذه الآية ، وذلك قوله : { وهم بدوءكم أول مرة } أي كانوا البادئين بالنكث ، وذلك أنّ قريشاً انتصروا لأحلافهم من كنانة ، فقاتلوا خزاعة أحلاف المسلمين)

ثم قال : التحرير والتنوير – (ج ٦ / ص ٢٣٧) (وعلى كلّ فالمقصود من إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام : إمّا إخراجه من مكة منهزماً بعدَ أن دخلها ظافراً ، وإمّا إخراجه من المدينة بعد أن رجع إليها عقب الفتح ، بأن يكونوا قد همّوا بغزو المدينة وإخراج الرسول والمسلمين منها وتشتيت جامعة الإسلام).

الخاتمة:

هذا بحث سريع وجدته عندي شبه مكتمل، فأحببت نشره، لأن تأخيري للأبحاث طمعاً في توسيعها وتحقيقها ودراسة أسانيدها وزيادة حجج الإقناع بها، قد يؤدي بها إلى إهمالها ونسيانها، فقلت في نفسي أخرجها كما هي الآن ولتكن مسودة، ومن شاء أن يتوسع فليتوسع، وليتم نقدها فلا بأس، لكني أرجو أن تكون أبحاثي هذه وإن كانت أبه بالمسودات أوثق وأقوى من تحريرات وتحقيقات السلفية المحدثة، فليكن هذا البحث مفتاحاً لإعادة النظر في تصوراتنا عن مشركي قريش، الذين كلن لهم أبلغ الأثر في التاريخ والتدوين والأحلاف والسياسة.